ما عرفه ابن النديم عن اليهودية والنصرانية

القسم الثاني (*)

ولم يذكر ابن النديم من علماء يهود أحداً سوى « سعديا الفيومي » ، وهو عالم يهودي شهير ، قال : « ومن أفاضل اليهود وعلمائهم المتمكنين من اللغة العبرانية ويزعم اليهود أنها لم ترَ مثله ، الفيوميّ . واسمه سعيد ، ويقال سعديا ، وكان قريب العهد . وقد ادركه جماعة في زماننا . وله من الكتب : كتاب المباديء ، كتاب الشرائع ، كتاب تفسير أشعيا ، كتاب تفسير التوراة نسقاً بلا شرح ، كتاب الأمثال ، وهو عشر مقالات ، كتاب تفسير أحكام داوود ، كتاب تفسير النكت ، وهو تفسير زبور داوود عليه السلام ، كتاب تفسير السفر الثالث من النصف الآخر من التوراة ، مشروح ، كتاب تفسير كتاب أيوب ، كتاب إقامة الصلوات والشرائع ، كتاب العبور وهو التأريخ » (١) .

ولم يذكر ابن النديم اسم محدثه عن الفيومي ولا بد أن يكون من اليهود الواقفين على أسماء مؤلفاته ، وأخباره ، والأغلب أن يكون من أتباعه المتشيعين له .

وسعديا ، أو سعيد بن يوسف الفيومي ، هو من أهل مصر في الأصل . ولد في « الفيوم » سنة (٨٩٢ م) في أغلب الروايات ، أو سنة (٨٨٢ م) على رواية ، ولهذا نسب الى الفيوم (٢) . وقد غادر مصر الى فلسطين فالعراق ، فسكن في مدينة « سورا » ، القريبة من « الحلة » ، وكانت من أهم مراكز العلم والثقافة بالنسبة إلى اليهود في ذلك العهد ،

(*) نشر القسم الأول في المجلد الثامن من مجلة المجمع العلمي العراقي .

(١) الفهرست (ص ٤٠ وما بعدها من الطبعة المصرية) .

(٢) M. Aberbach, Saadia Gaon, P. 6.

وتولى رئاسة يهود سورا حتى سنة (٩٤٢ م) (٣٣١ هـ) ، فتوفي فيها ، ودفن في قبر جعله اليهود مزاراً يقصدونه ، من مختلف أنحاء العراق .

ولا نكاد نعرف من أخبار أسرته شيئاً يذكر ، وذكر خصومه أن والده لم يكن يهودياً في الأصل ، وإنما كان مصرياً متهوداً ، فلما ولد « سعديا » ، اتبع دين أبيه ، ولكن أتباعه ومشايعيه يرون أنه من أصل يهودي قديم ، وأن والده من نسل أحد أحبار يهود المعروفين . وقد كان والده عارفاً بديانة قومه ، تولى بنفسه تثقيف ابنه سعديا وتعليمه ، فعلمه أحكام دينه ، فكان والده لذلك معلمه الأول .

كان « سعديا » محباً للتعلم والدرس منذ كان طفلا ، فدرس العلوم العربية بأنواعها ، ودرس العبرانية والكتب الدينية اليهودية من توراة وتلمود ومشنا ، وكتب دينية أخرى ، وتعلم الإغريقية ومعارف اليونان ، وأحاط بمعارف يومه من فلسفة ورياضيات وجغرافيا وتأريخ وموسيقى وشعر ولغة وهيئة وديانات ، وانكب على تعلمها ، حتى برع فيها ، وحاز على شهرة كبيرة عند بني قومه يهود ، وعند المسلمين كذلك .

ويقال : إنه ، وهو في الثالثة والعشرين من عمره ، اختلف مع قومه في بعض الآراء ، وخاف على نفسه من هذا الاختلاف ، لعدم تسامح مجتمعه في قضايا الاختلاف بالرأي ، فهاجر الى فلسطين وأقام أمداً في « طبرية » مركز العلم والثقافة عند اليهود في ذلك العهد . وقد اشتهرت بالعناية بدراسة التوراة والتلمود و « المدراشيم » وحديث يهود ، وباللغة العبرانية ، وبالمحافظة على التقاليد اليهودية القديمة ، وبأخذها بظواهر النص وبالتمسك بالحرفية ، وأخرجت جماعة من رجال العلم عندهم ، اجتمع بهم وأخذ منهم ، وزاد علمه بذلك باللغة العبرانية وبالعلوم اليهودية الدينية . وقد أفادته هذه الدراسة اللغوية فائدة كبيرة في الوقوف على اللغة وعلى التأليف فيها ، فوضع معجماً لها ، وألف في موضوعات نحوية ولغوية ، ونشط هذه الدراسة بعد أن كانت شبه ميتة في ذلك الزمان .

ثم ترك « طبرية » ، وسار الى بلاد الشـــأم فالعراق ، مركز العلم والثقافة في العالم يومئذ ، واختار « سورا Sura » ، القريبة من « الحلة » مكاناً له . وكانت « سورا » مركزاً من مراكز العلم لليهود في العراق ، لاينافسها في ذلك إلا « فومبديثة Pumbedita » بجوار الأنبار ، التي اشتهرت بمدارسها في دراسة التلمود وبعلمائها الذين ذاع صيتهم بين يهود العراق وفلسطين . وقد كانت مثل « سورا » من المستوطنات اليهودية القديمة التي سكن فيها اليهود منذ أيام السبي ، وتمتعت باستقلال في ادارة شؤونها وفق الشرع اليهودي .

وقد كان العراق في هـذا العهد أعظم مكان في البلاد الاسلامية وفي العالم في دراسة العلوم الشرعية والعلوم العقلية ، تنازعته آراء ومذاهب عديدة فلسفية وكلامية من دخول الآراء الفلسفية اليونانيـة اليه . ولم تـكن هذه الآراء فلسفة يونانية خالصة ، بل كانت مشوبة في الغالب بآراء غريبة نصرانية دخلت عليها ، وآراء نبعت من الجهل بمفهوم الفلسفة اليونانية وبالنصوص اليونانية وباللغة الاغريقيـــة . ثم إن أكثر المترجمات العربية ، هي ترجمـة مترجمات . فـكثير من الذين ترجموا المؤلفات اليونانية الى العربية ، لم يـكونوا يعرفون اللغة اليونانية ، إنما ترجموها عن الترجمات السريانية . وقد كان بعضهـا شروحاً وتفاسير نصرانية ، وضعها علماء نصـارى من السريان على تلك المؤلفات ، فاختلط الأصل بالشرح ، وامتزجت الوثنية اليونانية بالنصرانية الشرقية ، وجاء هذا الخليط شيئاً جديداً لم يكن من السهل على العلماء المسلمين ، وجلّهم ممن لم يكن يعرف اليونانية وفلسفتها بلسان أصحابها ، من رَجْع تلك الفلسفة الى عناصرها الأصلية النقية .

ولم يكن من الممكن بالنسبة الى اليهود العراقيين عزل أنفسهم عزلاً تاماً عن غالبية السكان وهي اسلامية ، ولا عن الأقليات النصرانية التي عاشت بين ظهرانيها ، فتأثروا لذلك بالمؤثرات الفـكرية التي سادت على هذا المحيط . وانجرف بعض علمائهم في هذه التيارات كما انجرف غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى ، وظهرت بينهم الآراء التي أوجـــدت المعتزلة والأشعرية وأصحاب الظاهر وغيرهم من أصحاب المذاهب الـكلامية والفقهية في الاسلام .

وظهر بينهم جدل في المشكلات التي أثارت الجدل بين النصارى والمسلمين . وفي أمور أخرى مثل ظهور المسيح .

ونجد في كتب الملل والنحل والتواريخ أسماء رجال من اليهود قيل إنهم جاؤوا ببدع وآراء مناقضة لدين يهود ، وأن نفراً منهم زعم أنه المسيح الموعود ، ونسبوا اليهم أموراً تخالف شريعة موسى . ولكننا يجب أن نأخذ هذه الروايات على حذر ، لأنها نقلت عن خصومهم وأعدائهم ، والعادة في ذلك الزمن أن يسم المعارضون أعداءهم بتلك السمات دون مناقشة وجدل ، وأن يتقدم رؤساء أهل الذمة الى الخليفة أو من يقوم مقامه بتلك التهم ليأمر بتأديبهم ومعاقبتهم والقضاء على فتنتهم ، لأنهم أهل ذمة وفي ذمة المسلمين ، وان على الخليفة ومن يقوم مقامه لذلك حماية دينهم من أصحاب الفتن والشعوذة .

ومن هؤلاء رجل يقال له « اسحاق أبوعيسى بن يعقوب الأصبهاني » ذكر الشهرستاني في الملل والنحل أنه عرف عند قومه بـ « عوفيد الوهيم » ، أي عابد الله ، وسمي أتباعه : « العيسوية » ، قال : إنه كان في زمن المنصور ، وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية مروان بن محمد ، فاتبعه بشر كثير من اليهود . وكان يدعي أنه نبي ، وأنه رسول المسيح المنتظر ، وأنه زعم أن للمسيح خمسة من الرسل ، يأتون قبله واحداً بعد واحد ، وأن الله كلفه ، وكلفه أن يخلص بني اسرائيل من أيدي الأمم العاصين والملوك الظالمين . وكان يوجب تصديق المسيح ، ويعظم دعوة الداعي ، ويدعي ان الداعي هو المسيح ، وحرم الذبائح كلها ، ونهى عن أكل كل ذي روح على الاطلاق طيراً كان أو بهيمة ، وأوجب عشر صلوات ، وأمر أصحابه باقامتها وذكر أوقاتها ، وخالف اليهود في كثير من أحكام الشريعة الكثيرة المذكورة في التوراة .

وذكر الشهرستاني أن اتباعه ادعوا له آيات ومعجزات ، وأنه ذهب الى يهود ما وراء النهر المرمل ليسمعهم كلامه ، وأنه أوجد له أتباعاً ، فلما اشتد أمره واشتط ، وعصى الخليفة

المنصور ، حاربه أصحاب المنصور بالري ، فقتل وقتل أصحابه [1] .

وذكر الشهرستاني أيضاً اسم شيعة يهودية دعاها « العنانية » ، نسبة إلى « عنان بن داوود » من يهود العراق في أيام الخليفة أبي جعفر المنصور ، قال في أصحابها : إنهم يخالفون سائر اليهود في السبت والأعياد ، وينهون عن أكل الطير والظباء والسمك والجراد ، ويذبحون الحيوان على القفا ، ويصدقون عيسى في مواعظه واشاراته ، ويقولون : إنّه لم يخالف التوراة البتة ، بل قررها ، ودعا الناس اليها ، وهو من بني اسرائيل المتعبدين بالتوراة ومن المستجيبين لموسى ، إلا انهم لا يقولون بنبوته .

وذكر أيضاً أن من هؤلاء من يقول : إن عيسى ، لم يدّع أنه نبيّ مرسل ، وليس من بني اسرائيل ، وليس هو صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى ، بل هو من أولياء الله المخلصين العارفين بأحكام التوراة ، وليس الانجيل كتاباً أنزل عليه وحياً من الله ، بل هو جمع أحواله من مبدئه الى كماله ، وإنما جمعه أربعة من أصحابه الحواريين ، فكيف يكون كتاباً منزلا ؟ الى أن قال : قالوا : واليهود ظلموه حيث كذبوه أولاً ، ولم يعرفوا بعد دعواه ، وقتلوه آخراً ، ولم يعلموا بعد محله ومغزاه . وقد ورد في التوراة ذكر «المشيحا» في مواضع كثيرة ، وذلك هو المسيح ، ولكن لم ترد له النبوة ولا الشريعة الناسخة . وورد « فارقليط » ، وهو الرجل العالم ، وكذلك ورد ذكره في الانجيل ، فوجب حمله على ما وجد . وعلى من ادعى غير ذلك تحقيقه وحده [2] .

وقد أخذ الشهرستاني أخباره هذه عن العنانية ، من موارد يهودية معارضة لهم على ما يظهر ، ففيها اشارات أيضاً الى ميل عنان الى النصرانية ، وهو طعن قصد منه غمزه ورميه بالأخذ من النصرانية وتأثره بها وبابعاده لذلك عن يهود .

(١) الملل والنحل (ص ٥٠٦) « طبعة القاهرة » .

(٢) الملل والنحل (ص ٥٠٣) ، « طبعة القاهرة » .

و « عنان بن داوود » هو ممن عاشوا في أيام الخليفة أبي جعفر المنصور أيضاً ، فهو من رجال القرن الثامن الميلادي ، ويقال : إنه توفي فيما بين ٧٩٠ و ٨٠٠ للميلاد ، ويعرف اتباعه بـ « القرائين » وبـ « بني المقرا » ، لأخذهم التوراة وحدها ، ورفضهم « التلمود » ، فانشقوا بذلك عن غالبية يهود التي تنظر الى التلمود ، نظرة المسلمين الى الحديث . فالتلمود عندها أصل من أصول التشريع يلي التوراة في الحكم ، ويذكر أنه اختلف مع قومه في ترشيحه لتولي منصب « رأس الجالوت » ، « ريش جالوتا » و « ريش كالوتا » ، أي منصب عميدالیهودالمتولي لأمورهم الذي يرجع اليه في إدارة أمور يهود الدنيوية وتنظيم شؤونهم ، والممثل لهم عند الخليفة أو من يقوم مقامه . فلما لم يعينه قومه لهذا المنصب المهم ، انشق عليهم ، وخالف « الربانيين » وحمل عليهم [1] .

ولم يكن من السهل على اليهود تحمل رأي القرائين في وجوب الأخذ بنص التوراة وحدها ونبذ التلمود ، فأكثر أحكام اليهود مستمدة من التلمود والمشنا والكمارة ، ومن فتاوى الأحبار والربانيين وأحكامهم ، وهي مكملة ومتممة كلها للتوراة . ورفض هذه الموارد في نظرهم هو هدم لشريعة موسى وبقية الأنبياء . يضاف الى ذلك ذهاب « عنان » وأتباعه مذهب أهل الاعتزال في الأصول وفي الفروع ، وفي التوحيد والعدل والصفات ، وفي الحسن والقبح ، وفي الخلق والجبر والاختيار والمادة والهيولي وما شاكل ذلك من مشكلات أثارت جدلا حاداً بينهم وبين خصومهم اليهود ، حتى ليصعب على المرء التفريق بين كتب المعتزلة وكتب القرائين في موضوعات علم الكلام .

وعلى الرغم مما عرف عن اليهود من التمسك بأحكام الشريعة على نحو ما وردت ، وبالتعلق بالحديث وبأقوال علمائهم وفتاواهم ، فقد لقيت آراء « عنان » رواجاً بين يهود العراق حمل « رأس الجالوت » على مراجعة الخليفة بشأن فتنته ، متهما إياه بالكفر والابتداع والخروج على دين يهود ، حتى أصدر الخليفة أمره بحبسه ويقال : إنه لقي ، وهو في

(١) M. Aberbach, P. 8.

الحبس ، أبا حنيفة النعمان بن ثابت ، فقص عليه قصته ، فأشار عليه أن يتقدم الى الخليفة برأي ، هو : أنه لم يكن مبتدعاً كافراً ، وإنما هو صاحب رأي واجتهاد ، له رأي في الدين ، وبذلك ينجو من السجن ، فنجا [1] ، فأخرجه الخليفة ، وذهب الى فلسطين .

وقد وضع « عنان » كتابين : كتاب الفرائض ، وكتاب الفذلكة . ونشط وهو في القدس لنشر دعوته ، ووجد له أتباعاً ، نشروا دعوتهم في أماكن بعيدة أيضاً ، مثل مصر وشمال افريقية والأندلس ، حتى بلغوا روسية ، ولكنهم تشتتوا فيما بعد ، وتخالفوا ، ومع ذلك بقيت لهم بقية حتى الآن [2] .

وفي جملة الفِتات المتناثر من القرائين ، جماعة عرفت بالعكبرية ، نسبة الى اسماعيل العكبري ، وموسويه العكبري ، من معاصري الخليفة المعتصم بالله العباسي [3] .

وفي جملة ما آخذ به الربانيون القرائين ، أخذهم بالاهلال في تعيين الشهور وتثبيت الأعياد ، أي بوجوب رؤية الهلال بالعين وثبوت ذلك بشهادة شهود عدول على نحو ما يفعل المسلمون . وقضية الإهلال هي من المسائل الفقهية التي أثارت جدلاً عند اليهود ، فقد درج العبرانيون بعد جدل واختلاف على تثبيت التقويم العبراني ، فصارت الأعياد بموجبه ثابتة معروفة . والاهلال يتعارض مع هذا التقويم ، ويجعل أيام الأعياد متغيرة ، وهذا مما يربك اليهود ، ويجعل العيد اليهودي أعياداً .

وكان من بين من حارب القرائين وشدد النكير عليهم ، « سعديا الفيومي » ، حاربهم في المعابد ، وردّ عليهم مبيناً فساد نحلتهم وآرائهم . رأى أن في معارضتهم للتلمود تمزيقاً لليهودية وقضاء عليها ، فالتلمود هو جل تعاليم يهود ، ورفض التلمود معناه رفض اليهودية

(١) ضحى الاسلام (٢/٣١٦) .

(٢) دائرة المعارف اليهودية مادة Karaite،

Martin Schreiner, Der Kalam in der Judischen Literatur, Berlin 1895.

(٣) رحلة بنيامين (ص ١٣٠) .

وإبطال أحكامها وكيف يستطيع اليهودي فهم التوراة إذا أعرض عن التلمود وعن تفاسير الربانيين ، وأخذ يلتمس مواطن الضعف في العنانية فيسدد السهام اليها ؟ لقد عمد القرائين الى التفسير الحرفي للتوراة ، فدفعهم ذلك الى الجمود ، فتشددوا في حرمة السبت تشدداً صيّره تزمتاً ، فحبسوا أنفسهم في أيام السبت ، ولم يتنقلوا ، ولم يسمحوا بالاضاءة ولا باستدعاء الطبيب فيه أو احضار الدواء وطبخ الطعام لمريض ، وقضوا ليلة السبت في ظلام دامس ، وتشددوا في أمور أخرى تساهل فيها الربانيون لوجود فتاوى في التلمود وفي الكتب الأخرى تبيح لليهودي القيام بمثل هذه الأعمال عند الضرورات [1] .

وكان في جملة من عارض القرائين وردّ عليهم بعنف ، « هارون بن مئير » رأس « مدراش » طبرية ، ومن أحبار فلسطين الذين ذاع اسمهم في الخارج وانتشر حتى بلغ يهود العراق . وكان من معاصري « سعديا » ومن خصومه اللدّ وإن اتفقا في معاداتهما هذه للقرائين . فقد أصدر « هارون » أمراً بتعديل التقويم العبراني وباجراء تعديل فيه أدى الى تغيير مواعيد الأعياد قليلاً ، فتقدمت يومين على الأوقات المثبتة في التقاويم . وأدى هذا التغيير الى وقوع خلاف بين أتباعه وبين اليهود الذين أبوا قبول ذلك التعديل وتمسكوا بالتقويم السابق . والى انقسام اليهود الى طائفتين في الأعياد . وهذا مما أثار « سعديا » الذي كان يحارب الفرقة ويدعو الى الوحدة [2] . فردّ عليه رداً عنيفاً ، وهاجمه في وعظه وفي تآليفه ، وأرسل رسائل عديدة الى « طبرية » والى مواضع أخرى من فلسطين في الرد عليه ، حتى تمكن من التأثير فيمن اتبعوه ، فتراجع أكثرهم عن تقويمه ، وعادوا الى استعمال التقويم القديم .

ولـ « سعديا » مؤلفات عديدة ألفها بالعربية ، وقد سمي ابن النديم أغلبها ، وله

(١) Saadia Gaon. P. II.

(٢) Saadia Gaon PP. 12.

مؤلفات بالعبرانية كذلك ، ومن مؤلفاته «كتاب التاج» ، وهو ترجمة أسفار العهد القديم الى اللغة العربية . وكتب في تفسير بعض أسفار التوراة مثل : كتاب تفسير أشعيا ، وكتاب تفسير النكت وهو تفسير زبور داوود ، وكتاب تفسير السفر الثالث من النصف الآخر من التوراة مشروح ،كتاب تفسير كتاب أيوب ، وكتاب تفسير التوراة نسقاً بلا شرح[1].

وتعد ترجمة « سعديا » للتوراة من أقدم الترجمات المعروفة في العربية حتى أن بعض علماء اليهود المحدثين ذكر أن ترجمته هذه كانت أول ترجمة عربية كاملة للتوراة[2] .

وذكر ابن النديم أن أحمد بن عبد الله بن سلام كان قد ترجم التوراة أيضاً ، وترجم كتباً دينية أخرى، يهودية ونصرانية وصابئية ، ترجمها من العبرانية واليونانية والصابئية ، ويريد بها لغة بني إرم ترجمها ترجمة حرفية كلمة كلمة مع محافظته على المعنى والنسق العربي . ترجمها « لأمير المؤمنين هارون » ، وهو هارون الرشيد . وقد وقف عليها ابن النديم وقرأها ونقل منها ، وكانت في كتاب قديم ، يظهر أنه من خزانة كتب المأمون[3] .

ويظهر أن الشروح والتفاسير التي ذكرها « ابن النديم » ، هي تفاسير لأسفار من التوراة . ألفها « سعديا » لتساعد اليهود وغيرهم على فهم الأسفار والوقوف على معانيها ، كما فعل المسلمون في تفسير القرآن الكريم أو في تفسير سور منه ، فسرّها استناداً الى ما جاء في التلمود وفي الكتب الدينية الأخرى التي ألفها الأحبار ، فساعد في تقريب التوراة والموارد الدينية الأخرى الى عقول اليهود ، وعمل على إحياء الدراسات العبرانية القديمة التي أصيبت قبل أيامه بخمول وإهمال .

وعلى رأس مؤلفات سعديا مؤلفه المعروف بـ « كتاب الأمانات والاعتقادات » ، ألفه

(١) الفهرست (ص ٤٠) .

(٢) Saadia Gaoan, P. 27, Rodwell's, The Koran P. 11.

(٣) الفهرست (ص ٣٨ وما بعدها) .

في بغداد سنة (٣٢١ - ٣٢٢) للهجرة (٩٣٣ م) باللغة العربية ، ونقله « يهودا بن تبون » « Judah b Tibbon » الى العبرانيـــة وسمـاه « ســـفر امونوت وديعـوت » « Sefer Emunot we-De'ot » [١] . وقد طبع « لاندَوَرْ Landauer » النص العربي في سنة (١٨٨٠م) بمدينة « ليدن » ، أما الترجمة العبرانية ، فقد طبعت مراراً [٢] .

ولسعديا « كتاب الخليقة » ، « سفر يتسيره Sefer Yetsirah » ، وهو في التصوف وفي موضوعات من علم الكلام . ألفه في سنة « ٩٣١ م » ، وكان في أوج خصومته مع « داوود بن زكاي David ben Zaccai » . وقد تطرق فيه الى قضايا متعددة : كقضية الكون والخلق والقـدم والله ، وذهب فيه الى أن الأرض كروية على عكس ما ذهب اليه معظم أصحـابه في ذلك العهد ، كما ذهب الى وجود أثر للنجوم وللأعـداد في حيـاة الانسان [٣] .

ومن أقدم مؤلفاته التي وضعها في أول عهـده بالتأليف معجمه العبراني المعروف بـ « سيفر هاجرون Sefer Hagron » ، وهو معجم في اللغة العبرانية ، بادَ ولم يبق منه إلا مقدمته العبرانية والعربية ونبذ قليلة . وقد أراد « سعديا » أن يحيي به اللغة العبرانيـة ويساعد طلابها في فهمها والوقوف عليها . وتحدث فيه أيضاً عن القواعد النحويه والصرفية الأساسية لهذه اللغة ، كما وضع ترانيم دينية لتتلى في المعابد في أثناء الصلوات ، عبرت عن معان دينية عميقة وعن حس ديني مرهف [٤] .

(١) O'leary, Arabic Thought, P. 258, Saadia Gaon, P. 29

(٢) Isaac Husik, a History of midiaeval Jewish Philosophy, P. 444.

(٣) Jacob Guttmann. Die Religionphilosophie des Saadia, Gottingen, 1882, D. J. Engelkemper, Saadia Gaon's religionphilosophische Lehre über die heilige Schrift, Munster, 1903,
Saadia Gaon, PP. 28.

(٤) Saadia Gaon, P. 27.

ويتبين من دراسة « كتاب الأمانات والاعتقادات » ، أن « سعيداً الفيومي » كان قد سلك طريق المعتزلة في تأليفه ، وتأثر بآرائهم في التوحيد والعدل والصفات ، وفي البحث عن المادة والهيولي والمقولات العشر وبقية البحوث التي تعرض لها أهل الاعتزال ، واستخدم براهينهم وحججهم ، ولكنه إذْ سلك طريقهم هذا وأخذ بأدلتهم في التوفيق بين العقل والنقل ، فإنما فعل ذلك رغبة منه في التوفيق بين الشريعة الموسوية والآراء الفلسفية ، لجلب اليقين الى نفوس اليهود ، ولترسيخ اليهودية فيهم ، ولاثبات أن اليهودية، ولا سيما تعاليم التلمود منها ، لا تتعارض مع العقل ولا تصطدم بالفلسفة وعلوم الطبيعة . وللسبب نفسه درس مؤلفات أرسطو العربية بصورها المختلفة ، على طريقة أهل العراق في هذا الزمن ، وحاول جهده التوفيق بين الفلسفة الارسطوطاليسية وشريعة يهود [1] ، فكان مثله في ذلك مثل الفلاسفة المسلمين كالكندي والفارابي وابن سينا وأمثالهم ، ممن حاولوا جهده التوفيق بين الشريعة والفلسفة ، وإثبات أنهما متوافقان ومتلائمان .

وفي جملة ما بحثه موضوع صفات الله الواردة في التوراة وفي التلمود والكتب الدينية الأخرى ، وفي بعضها دلالة على التجسيم والتشبيه ، مثل يد الله ، وعرش الله ، ورأس الله وعين الله ، وفي بعض آخر دلالة على انفعالات لاتقع إلا للانسان ، مثل رضى الله وغضب الله وعظمة الله ورحمة الله وأمثالها ، فذهب في ذلك مذهب المعتزلة . ذهب الى أنها صفات ذوات معانٍ مجازية ، وإن دلّت على تجسيم وتشبيه وانفعالات . انها أبعد ما تكون عن التجسيم والتشبيه والانفعالات . فالله واحد أحد، ليس له مثيل ولا شبيه، ولا يشبه الأشياء . وورود هذه الصفات على هذا النحو ، إنما هو نوع من أنواع البلاغة في التعبير [2].

(١) Isaac Husik, A History of mediaeval Jewish Philosophy, P. 26.

(٢) Isaac Husik, A History, P. 34.

وقد استعان « سعديا » بمقولات أرسطو العشر « The Ten Categoris » ، لاثبات أن الله الخالق لا يشبه خلقه ، وأن المخلوقات لا تشبه خالقها البتة ، وأن كل ما في الكون مخلوق . وهو إما جوهر ، وإما عرض ، والجوهر هو أول المقولات العشر وأهمها ، وأن الله هو السبب الأول للجوهر والعرض ، لذلك لا يمكن أن يكون الجوهر أو العرض مثل الخالق . وهكذا سخر مقولات أرسطو ، الذي لم يكن بالطبع موحداً ولا مؤمناً ايمان أهل الأديان السماوية ، لنفي الشبه عن الله .

وفي جملة ما بحثه من موضوعات ، موضوع «الروح» . وهو موضوع شائك محير. فقد ذهب بعضهم إلى أن الروح عنصر مثل الهواء أو النار ، حل في الجسم ، يعرف من فعله . وذهب بعض آخر الى أنها عرض من أعراض الجسم ، مرتبط به ، ووجودها بوجوده ، فاذا هلك الجسم ، هلكت روحه . وأنكر آخرون وجودها ، ونسبوا ما يقال له الروح الى فعل المادة التي هي الجسم . وقد ذهب « سعديا » إلى أن الروح جوهر يخلقه الله ، في الوقت الذي يخلق فيه الجسم ، فهو جوهر حادث ، لم يكن له وجود قبل الأجسام ، فخالف بذلك رأي « أفلاطون » القائل إن الأرواح أبدية ، وقد خلقت منذ الأزل وقبل خلق الأجسام وذلك بسبب استحالة وقوع الأزلية بالنسبة الى المخلوقات . ولما كانت الروح من خلق الله ، فلا يمكن أن تكون أزلية منذ القدم اذن . وهي لم تدخل الأجسام من الخارج ، وإنما خلقت معه وفيه . وهي ليست مادة بالمعنى المفهوم من المادة ، وإنما هي جوهر لطيف ، لا تمكن رؤيته ، وإنما يدرك أثره ، تحس بنفسها ، والجسم هو الآلة التي تظهر فعل الروح . ولو لا الروح لما دبّت الحياة فيه ، ولا اكتسب العلم . ويتجلى فعل الروح في الجسم في العقل والنفس والارادة . ولكنه لم يذهب مذهب أفلاطون في تقسيم الروح الى أقسام عديدة ، جعل لكل قسم مِنْطَقَةً معينة حلت فيها من الجسد ، بل ذهب الى أن تلك المظاهر الثلاثة للروح تعود كلها الى الروح ، ومركزها القلب . ومن القلب يكون الحس والادراك .

وزعم أن اقتران الروح بالجسد ، بسبب أن الروح لا يمكن أن تعمل إلا بجسد تكون فيه . ووجودها بغير جسد ، هو هباء وعبث . ولو لا الأجساد ، لما صار للأرواح فعل وعمل ، ولما صارت لها قيمة وشأن ، فالأجساد ضرورة للروح لازمة ، واقتران الروح بها هو من رحمة الله للانسان ، وليس الجسد سجنا لها كما زعم أصحاب الافلاطونية الحديثة ، الذين رأوا أن خلاص الانسان من سجن الدنيا ، هو بخلاص الروح من الجسد ، أي بانطلاقها منه ؛ لأن المادة ، والأجساد نفسها مادة ، هي شر ونجاسة ، وقد ألقى الله على زعمها بالروح في الجسم عقاباً لها على الخطيئة ولن يكون الخلاص من هذه الخطيئة بخروج الروح من الجسد .

وقد ذهب في موضوع اللطف والحسن والقبح والأفعال والوحي والعقاب مذهب أهل الاعتزال أيضاً . وهكذا أدخل « سعيد » مذهب المعتزلة في علم الكلام الى اليهودية ، وغايته من ذلك معالجة تلك المشكلات التي جابهت اليهود في العراق وفي كل مكان فأثارت شكوكاً في نفوس كثير من اليهود في الشريعة الموسوية ، وفي التئامها مع العقل ، فحاول جهد إمكانه إثبات أن اليهودية لا تتعارض مع العقل ، وأن العقل والإيمان هما توأمان متلازمان ، وأنهما من منبع واحد ولا يتعارضان [1] .

لقد كان للعراق أثر كبير في توجيه « سعيد الفيومي » وفي طريقة تفكيره . فالعراق منذ زمن قبل الإسلام مكان من أمكنة الجدل والمناقشة والنقد في الشرق الأوسط ، وموضع من أشهر المواضع التي عرفت بظهور المذاهب فيه ، وفي أيام وصول هذا العالم اليهودي الى العراق قادماً من مصر ، البلد الهادئ المؤمن ، كان الجدل قد بلغ أوجه في الكوفة وبغداد والبصرة في موضوعات علم الكلام والفلسفة ، بالاضافة الى النزعات والاتجاهات التي حملها أناس متحللون ، ونفر أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر به وبالأديان ،

(١) Saadia Gaon, P. 28.

وجماعة شكت في كل شيء ، وادعت أنها لا تخضع إلا للعقل ، فكان من الطبيعي أن يتأثر « الفيومي » بهذه البيأة الجديدة التي عاش فيها ومات فيها ، وأن يظهر ذلك التأثر في الاتجاه الفلسفي الديني الذي سيطر عليه .

وهناك عالم يهودي آخر ، تأثر بمذهب أهل الاعتزال وسار على نهجهم في علم الكلام ، هو « داوود بن مروان » المعروف بالمقمص وبالرقي نسبة الى الرقة وبالواسطي العاقولي ، لم يقف ابن النديم على خبره ، فلم يشر اليه . ولا نعرف من أمره الا ما ذكره « يهودا بن برزلاي Judah ben Barzilai » مفسر « سفر الخلق Sefer yezirah » فقد قال عنه : إنه كان معاصراً لسعيد الفيومي ، وقد تعلم منه كثيراً .

وللمقمص كتاب باللغة العربية في علم الكلام ، « عشرون فصلاً » ، ضاعت خمسة فصول منه ، وبقي خمسة عشر فصلاً منها ، ظفر بها أحد المستشرقين الروس في سنة (١٨٩٨ م) [1] .

واذا أضفنا الى هذين المتكلمين ، عالماً يهودياً آخر اسمه « اسحاق بن سليمان الاسرائيلي » المتوفى قريباً من سنة ٣٢٠ للهجرة ومن مواليد مصر ، الذين مارسوا الطب وانتقل الى القيروان ، واشتغل عند الفاطميين ، نكون قد وقفنا على أقدم المتكلمين والفلاسفة عند اليهود في العصور الإسلامية . وكان قد درس الطب على اسحاق بن عمران الملقب بـ « سم ساعة » البغدادي الأصل ونزيل القيروان ، وشيخ أطباء زمانه بالمغرب ، وناشر الطب هناك ، ولازمه حتى برز في هذا العلم . وألف كتباً شهيرة فيه ، مثل كتابه « في البول » ، « فإنه أشبع كتاب ألفه مؤلف ، بذّ فيه جميع المتقدمين ، وكتابه في الحميات ، وكتابه في الغذاء والدواء » . واشتغل مع ذلك بعلوم الفلسفة والمنطق ، وألف فيها : « كتابه الذي سماه بستان الحكمة ، وكتابه في الحدود وكتابه في المنطق ، وكتابه في

(١) Isaac Husik, PP. 17.

الترياق » [1] . وحصل بها على شهرة واسعة بين الفلاسفة اليهود .

وقد انتقلت شهرته الى الغربيين بفضل ترجمة « قسطنطين افر » Constantinus Afer« لمؤلفاته الى اللغة اللاتينية ، وبواسطة هذه الترجمات وقف علماء الغرب ومفكروه يومئذٍ مثل « البرتس مكنوس Albertus magnus » و « Vincent of Beauvais » و « توماس اكوينو Thomas Aquinos » وأضرابها على آرائه وأفكاره . ويتبين من مؤلفاته التي وضعها بالعربية ، وفقدت ولم يبق منها غير نتف وغير ترجماتها العبرانية واللاتينية ، أنه كان طبيباً فيلسوفاً ، حاول التوفيق بين الآراء الفلسفية الأرسطوطاليسية والأفلاطونية الحديثة ، وذلك على نحو مافهمها ووقف عليها بثوبها العربي . أما مباحث علم الكلام ، فقلما عني بها ، فهو بذلك على عكس « سعيد الفيومي » و « المقمص » . وأما الموضوعات اليهودية والشريعة اليهودية ، فلم يبحث فيها ، ولم يهمه أمرها ، إذ كان طبيباً فيلسوفاً أولاً ، ولم يهتم بالتوراة وبالشريعة إلا بقدر مالها من صلة بالفلسفة والطب [2] .

ويعد « يوسف بن ابراهيم البصير » ، وهو من القرائين ، من علماء الكلام الذين أدخلوا رأي أهل الاعتزال الى اليهودية ، بل كان أكثر تقيداً بآراء المعتزلة من « سعيد الفيومي » . إذ كان الفيومي قد خالف بعض آراء المعتزلة ، ولم يستعمل كل أدلتهم وحججهم في اثبات آرائهم . أما « البصير » ، فقد اعتمد على منطقهم كلية ، وتأثر بآرائهم الى حد كبير . وبتأثيره ولا شك غرف تلميذه « يوشع بن يهودا » المعروف بـ « أبي الفرج فرقان ابن أسد » ، من معين الاعتزال أيضاً . وقد كان من وجوه القرائين البارزين في فلسطين

(١) ابن جلجل (ص ٨٧) ، ابن ابي اصيبعة (٢/٣٢) ،
Brockelmann, Band. I. S. 255, Suppl., I, S. 421.

(٢) I Isaac Husik, P. 16.

ومن فقهائهم . ويظهر في فقهه أثر الفقه الإسلامي [1] .

وشاء يهود الأندلس منافسة يهود العراق ومدارس العراق في باب الفلسفة والكلام والتوفيق بين العقل والنقل . فبعد أن كانت « سورا » و « فومبديثة » وبغداد ، تُمدُّ يهود بلاد الشأم وبلاد افريقيا والاندلس بالآراء الفلسفية وبينابيع الحكمة ، وبالاحكام الدينية وتثبيت التقاويم ، وتجيب عن الفتاوى والمسائل المتعلقة بالشريعة ، تمكن رجال من يهود الاندلس وشمال إفريقيا من منافسة رجال العراق في زعامة الفكر اليهودي المتأثر بالفكر الاسلامي . فظهر في الأندلس مفكر يهودي اسمه « سليمان بن جبريل » « Solomon ibn Gabirol » وجماعة آخرون ألفوا في هذه العلوم وتفوقوا فيها ولفتوا اليهم انتباه العالم اليهودي ، وذلك بفضل أثر الثقافة الاسلامية فيهم ، وبمساعدة الحكام المسلمين لهم .

والفضل في ظهور هذه النهضة يرجع الى « الحكم بن عبد الرحمان الناصر لدين الله ، أمير الأندلس » فقد كان هذا الأمير سمحاً متسامحاً ، محبّاً للأدب والفلسفة مشجعاً للعلماء والباحثين . اختار له طبيباً من اليهود ، اسمه «حسداي بن شفروط Hasdai ibn Shaprut » المتوفى سنة ٣٦٠ أو ٣٨٠ للهجرة ، وكان «حسداى» مثل أميره وحاميه ، محبّاً للعلوم والآداب مشجعاً للباحثين ، فشجع أبناء دينه على الانصراف الى دراسة العلوم اليهودية والحكمة والفلسفة والعلوم الزمانية ، واستدرج العلماء اليه ، ورفّه عنهم وأغدق عليهم ، فساعد بذلك على جعل قرطبة مركزاً خطيراً من مراكز الحركة الفكرية عند المسلمين وعند من في ذمتهم من يهود ، فاستقل بذلك يهود الأندلس ، ولم يعودوا يراجعون يهود بغداد في تعلم علمهم وفقههم وأحكام دينهم ، وبعث الحركة الأدبية ، وذلك بدراسة العبرية صرفاً ونحواً ، وأخذ

(١) Isaac Husik, P. 55, P. F. Frankl. Ein Mu'tazilitischer Kalam aus dem 10. Jahrhundert, Wien, 1872, Miska Klein, Juzuf Al-Basir Al-kitab, Al-Muhtavi, Budapest, 1913.

بيد « موسى بن أنوخ « اخنوخ » Moses ben enoch» ، وهو عالم يهودي من أهل العراق ، اشتهر بعلمه بالتلمود ، جاء الى قرطبة ، فأقام بها ، وأخذ يشرح ليهودها أحكام التلمود ، وبذلك خلق هذه الدراسة في الأندلس . واتصل بابن « سعيد الفيومي » ، وراسله ليساعده في حل مشكلات فلسفية وكلامية عبرانية ، وأخذ بيد « مناحيم بن سرّوق » وهو أول من دوّن المعجم العبري ، وعُني بنحو العبرانية وصرفها ، و « دوناش بن لبرط » الشاعر العبري الذي جدد الشعر العبري بإدخاله البحور العربية فيه ، و « أبو زكريا يحيى بن داوود بن حيّوج » النحوي ، وله مؤلفات في الصرف والنحو . و « أبو الوليد مروان ابن جناح » من علماء اليهود المعروفين وغيرهم . وصيّر هؤلاء قرطبة مركزاً من مراكز الثقافة اليهودية في المغرب مـــدة قرون عدة ، وينبوعاً غذّى أوربة في القرون الوسطى بالثقافة الإسلامية بوساطة يهود قرطبة والأندلس ، الذين كانوا على اتصال باخوانهم يهود أوربة وبعلماء النصرانية في تلك الديار [1] .

وكان من ثمرة هذه الحركة بروز « سليمان بن جبيرول Salomon ibn Gabirol » المعروف أيضاً بـ « أبي أيوب سليمان بن يحيى بن جبيرول » ، المتوفى في حدود سنة (٤٥٠) للهجرة ، (١٠٥٨ م) [2] ، أو في حدود سنة (٤٦٢ هـ) (١٠٧٠ م) ، على رواية أخرى [3] ، من فلاسفة الأندلس المعروفين الذين اشتهر اسمهم في أوربة خاصةً ، ومن أوائل روّاد الفلسفة في الأندلس . وقد عرف بين الأوربيين وفي البيآت الفلسفية الغربية بـ « Avencebrol » و بـ « Avicebron » و بـ « Avicembron » [4] .

(١) موسى بن ميمون ، لوافنسون (ص ٤) ، ابن ابي اصيبعة (٢/٥٠) ، ابن جلجل (ص ٢٢) ، Isaac Husik PP. 59, o' leary, Arabic Thought, P. 241, Josefe ben Zabara, New york 1952, P. 7,

(٢) O'leary, P. 242.

(٣) Isaac Husik, P. 60

(٤) O' leary. P. 242, Isaac Husik, 69, f.

وقد كان شاعراً معروفاً كذلك . رنم شعره في معابد اليهود « السيفاريد » « Sephardi » و « الاشقنيز Ashkenazic » ، وعرف بكتابه « ينبوع الحياة » « the Fountain of Life » ، الذي ألفه بالعربية ، وعرف بـ « مقور خايم » « Maqor Chayim » في العبرانية ، وترجم الى اللاتينية بعنوان : « Fons Vitae » . ترجم في مدينة « طليطلة Toledo » بأمر من رئيس أساقفة طليطلة « ريموند » في اواسط القرن الثاني عشر . وقام بالترجمة « الدومينانكي جنديسالينوس Dominicus Gundissalinus » بمساعدة طبيب يهودي متنصر اسمه « ابن داوود » « Avendehut » « Avendeath » الذي عرف بعد تنصره باسم « يوحنا الأسباني Johannes Hispanus » « Johannes Hispalensis » [1] .

ولعدم استشهاد هذا الفيلسوف بأية آية من التوراة أو بأي قول من التلمود ومن الكتب الدينية اليهودية الأخرى ، ولكون الكتاب فلسفياً ، مكتوباً بالعربية في الأصل ، ظن بعض علماء الغرب أنه من مؤلفات فيلسوف عربي ، ولشهرته عند الدومينيكان وعند الفرنسيسكان ، ولوجود كثير من الآراء الموافقة للآراء النصرانية فيه ، رأى بعض آخر أنه من مؤلفات عالم نصراني ، وظل العلماء في شك من أمره حتى منتصف القرن التاسع عشر ، حيث عثر على ترجمة عبرانية للكتاب ، تبين من مقدمتها أن مؤلفه « ابن جبيرول » ، لم يكن نصرانياً ولا مسلماً ، وانما كان يهودياً فيلسوفاً على مذهب الأفلاطونية الحديثة في الفلسفة [2] . ويظهر أنه لم يكن من المعنيين بالبحوث التوراتية والتلمودية ، ولهذا لم يتطرق اليها في هذا الكتاب .

(١) O' Leary, P. 242, Isaac Husik, P. 60, Baumer, Avencebrolis Fons Vitae, Mnuster, 1895.

(٢) موسى بن ميمون (ص ٥٩) ، Isaac Husik. PP. 63.

وقد تبين أن « ابن جبيرول » ، هو من أوائل الفلاسفة الذين أدخلوا الأفلاطونية الحديثة الى الأندلس وأشاعها هناك ، كما أنه ساعد على نشرها في أوربة . غير أنه لم يكن من المتعلقين بالافلاطونية الحديثة كل التعلق ، فقد أخذ ببعض الآراء الأرسطوطاليسية كذلك . والواقع أن اصحاب المذهب الأفلاطوني الحديث ، وعلى رأسهم مؤسس المذهب « أفلوطين Plotinus » ، كانوا قد أخذوا من فلسفة أرسطوطاليس ، واقتبسوا منها ، للتوفيق بينها وبين مذهبهم الجديد .

ولابن جبيرول مؤلف في الأخلاق ألّفه باللغة العربية ، ونقله شيخ المترجمين في زمانه « يهوذا بن تبون Judah ibn Tibbon » من العربية الى العبرية . وقد عرف ذلك الكتاب بـ « تقويم النفس » « اصلاح النفس » . وقد بقي الأصل العربي ، وطبع في سنة « ١٩٠١ م » بأصله العربي مع ترجمته الانكليزية [١] ، كما بقيت الترجمة العبرية ، وطبعت عدة مرّات [٢] .

وانتشر هذا الكتاب بين اليهود انتشاراً واسعاً ، فتداولته أيديهم بنصه العربي ، وبترجمته العبرية ، على عكس كتابه الفلسفي « ينبوع الحياة » ، مع أنه أهم منه ، وأكثر عمقاً . والسبب في ذلك أن « تقويم النفس » ، هو في الأخلاق وفي تهذيب النفس ، وفيه مقتبسات من التوراة ، خلعت عليه طابعاً يهودياً ، كما حوى أمثلة وعظات نقلت من الكتّاب العرب المسلمين الذين لهم أسلوبهم الخاص في المواعظ واصلاح النفس ، وجعلته مستساغاً في أذواق القراء .

كما أن له مجموعة في الحكم ، جمع حكما لحكماء من اليونان والعرب ، طبعت في سنة ١٨٤٤ م بمدينة « هامبرك » [٣] .

(١) by Stephen S. Wise

(٢) Isaac Husik, P. 71.

(٣) O' leary, P. 243,

ولم يكن « يحيى بن يوسف بن بقودة » من رجال القرن الحادي عشر للميلاد ، ومؤلف كتاب « الهداية الى فرائض القلوب » المؤلف بالعربية ، من المتعمقين في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة على نمط « ابن جبيرول » ، إنما كان فيلسوفاً أخلاقياً ، وكان « ديّانا » على اليهود أي قاضياً [١] . نرى بعض آرائه الفلسفية والحكمية في الكتاب المذكور الذي نقل الى العبرية ، واتخذ من آداب التوراة وحكم القضاة اليهود أمثلة لليهود في الآداب . ويظهر عليه تأثره بآراء المتكلمين [٢] .

وقد طبع في أوربة كتاب بعنوان « معاني النفس » ، طبعه المستشرقي « كولدتزهير » « Goldziher » ، ونسبه الى « يحيى » ، كما نشرت ترجمته العبرية ، غير أن اتجاه الكتاب وتأثر مؤلفه بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، وعدم اتفاق بعض فصوله مع آراء علماء الكلام ، كل ذلك يشير الى أن الكتاب لمؤلف آخر ، له رأي فلسفي يختلف عن رأى « يحيى » [٣] .

وفي النصف الأول من القرن الثاني عشر قام « ابراهيم بن حيا Abraham bar Hiya » المعروف بالأمير وبـ « Abraham Savasorda » ، أي « ابراهيم صاحب الشرطة » ، بعمل ثقافي مهم ، فنقل العلوم مثل الرياضيات والفلك واصول ضبط التقاويم ، من الشرق الى الغرب ، اذ نقل كتب العلوم العربية الى اللاتينية ، تلبية لرجاء اصدقائه في فرنسة وألمانية ، وألف كتباً في الرياضيات وفي الفلك وفي فروع العلم الأخرى بالعبرية ، استجابة لرغبة أصدقائه اليهود في فرنسة وفي ألمانية ، الذين لم يكن في وسعهم أخذ هذه العلوم من المؤلفات العربية ، فكان من أوائل من قاموا بتأليف كتب العلوم بالعبرية [٤] .

(١) Isaac Husik, PP. 80.

(٢) D. Kaufmann, Die Theologie des Bachja ibn Pakuda, Vol., II, Franfurt, 1910, J. H. Hertz, Bachja, The Jewish Thomas a Kempis, New York, 1898.

(٣) Isaac Husik, PP. 106

(٤) Isaac Husik, 114.

وأما « يوسف بن يعقوب بن صديق »، ديّان قرطبـــة أي قاضيها المتوفى سنة « ١١٤٩ م »، فقد كان من الآخذين بمذهب الافلاطونية الحديثة، ومن المتأثرين بآراء « إخوان الصفـاء ». وقد كان عالماً بأحكام التلمود، وذكر أنه كان شاعراً كذلك. وقـد مدحه « موسى بن ميمون ». وأما كتابه « العالم الأكبر » الذي ألفه بالعربية، فقد ضاع أصله، وبقيت ترجمته العبرية التي طبعت فيما بعد (١).

وعرف الشاعر اليهودي الشهير « يهوذا اللاوي Judah Halevi » الطليطلي من معين الفلسفة الأرسطوطاليسية والأفلاطونية الحديثة. درس التلمود على « الفاسي »، وتراسل مع « مكش Migash » خليفة الفاسي، و« باروخ ألباليا Baruh Albalia » الفيلسوف. وقد عبر في قصائده التي حازت على شهرة واسعة بين اليهود عن معان دينية ودنيوية عميقة، تدل على حس مرهف، ونفس جياشة، سالكا طريق « الغزالي » في تفكيره وفي تصوفه. وهذا ما حدا بـ « كوفمن David Kaufmann » على المقارنة بين الغزالي واللاوي، حتى توصل الى أخذ الثاني من الأول، وجزم بتأثر اللاوي بآراء الغزالي (٢).

أما « أبو إسحاق ابراهيم بن مئير بن عزرا الطليطلي »، فقد كان من المتأثرين بآراء الأفلاطونيين المحدثين وبآراء إخوان الصفاء. وقـد اطلع على الفلسفة العربية بقراءته لكتب الفلسفة، وكان عالماً بقواعد العبرية وبأحكام التوراة. فعدّ من علماء اللغة العبرية وآدابها، وكتب تفسيراً للتوراة، وألف في الرياضيات والفلك والتنجيم، وعرف بتطوافه في الشرق والغرب، اذ زار مصر وفلسطين وبلاد الشأم والعراق، وروما وايطاليـــة وفرنسة وانكلترة، وأقام في لندن سنة ١١٥٧ م، وتوفي في روما سنة ١١٦٧ م (٣).

وقد أفاد أبناء قومه يهود في الغرب، بتعليمهم العبرية والفلسفة العربية وما تعلمه في

(١) موسى بن ميمون (ص ٦٣)، Isaac Husik, P. 125.

(٢) Isaac Husik, PP. 152.

(٣) Isaac Husik, P. 187.

بلاده الأندلس . ويظهر أنه كان يميل الى التصوف [١] .

كذلك كان الشاعر « موسى بن عزرا » المتوفى بعد سنة ١١٣٨ م ، من المتعلقين بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة . وكان قد وقف على كتاب « ينبوع الحياة » لابن جبيرول وتأثر به ، ويظهر أثره في النبذ التي اقتبسها من ذلك الكتاب [٢] .

وكان « ابراهيم بن داوود » الطليطلي ، من فلاسفة اليهود المتأثرين بفلسفة « أرسطوطاليس » . وهو أول فيلسوف يهودي عرف هذه الفلسفة وحاول التوفيق بينها والشريعة الموسوية . ويرجع علمه بهذه الفلسفة الى كتب الفارابي وابن سينا ، التي قرأها بالعربية ، لا الى مؤلفات أرسطو الأصلية المدونة باليونانية . فلم يكن في مقدوره يومئذ الوقوف على المصادر الفلسفية بلغتها الأصلية . وعلى هذا النحو كان علم سائر من اشتغل بالفلسفة ، ومنهم الفيلسوف اليهودي المعروف موسى بن ميمون [٣] . وقد أدمج « ابن داوود » في كتابه « الاعتقاد الراقي » آراء أرسطو في أركان الشريعة الموسوية للتوفيق بين أرسطو والدين ، أو بين العقل والنقل [٤] .

غير أن « ابن داوود » لم يتمكن من فهم فلسفة أرسطو فهماً واضحاً ، فلم ينجح في التوفيق بين آرائه وآراء الشريعة الموسوية في الخلق وفي العناية الإلهية وفي خلود الروح وفي حرية الإرادة . ويكتنف الغموض أبحاثه في هذه الموضوعات [٥] .

وبلغت الفلسفة اليهودية في ظل المسلمين ذروتها في فلسفة « موسى بن ميمون » ، المعروف بـ « أبي عمران عبيد الله موسى بن ميمون » في المؤلفات العربية [٥] أحد

(١) Isaac Husik, P. 186.

(٢) Isaac Husik, 197.

(٣) موسى بن ميمون .

(٤) المصدر نفسه (ص ٥٩) .

(٥) ابن أبي أصيبعة (٢/١١٧) .

المعاصرين للفيلسوف ابن رشد ، والمتأثرين به ، والحاملين لفلسفته .

وكان موسى بن ميمون من قرطبة ، وكان والده « ميمون » قد درس على « يوسف ابن ميكاش » وعلى « اسحاق الفاسي » ، وتولى القضاء الديني بقرطبة . كما درس الفلسفة والعلوم على « يوسف بن صديق » وعلى علماء آخرين [1] ، وقد كان لهذه الدراسة أثر في تكوين ابنه موسى ، الذي تعلم منه ، وسلك طريقه في التتبع والبحث . ولما اضطر والده الى ترك قرطبة ، ونزل « المرية » ، كان « ابن رشد » قد حلّ بها أيضاً ، ولعل نزوله بها مكنه من الوقوف على فلسفة هذا الفيلسوف ، ومن الاجتماع بابن أفلح الإشبيلي الطبيب الفيلسوف . وفي « المرية » اتصل بأحد تلامذة « أبي بكر بن الصائغ » ، ودرس عليه علم الفلك [2] ، واتصل بجماعة آخرين ، كما تعلم الطب ومارسه ، ولمع اسمه فيه .

وقد كانت غاية « موسى بن ميمون » من فلسفته التوفيق بين العقل والنقل بين الفلسفة والشريعة ، والفلسفةُ المفضلة عنده هي فلسفة أرسطو . أما علم الكلام ، فلم يجد له هوى في نفسه ، على عكس فلاسفة اليهود الذين عاشوا في العراق ، وتأثروا بآراء علماء الكلام هناك ، وحاولوا إحلال علم الكلام محل فلسفة اليونان [3] . وسبب ذلك في رأيه أن المعتزلة والأشاعرة ، إنما بنوا آراءهم على مقدمات ومسلمات أخذت من كتب اليونان والسريان النصارى الذين ظنوا أن النصرانية لا تتعارض مع الفلسفة ، فأرادوا الردّ عليها ببراهين ومقدمات أخذوها من الفلسفة نفسها ، وألبسوها مسوحاً نصرانية . فلما جاء الاسلام ، ونقلت اليهم كتب الفلسفة ، ونقلت اليهم تلك الردود على كتب الفلسفة ، ووجدوا كلام يحيى النحوي وابن عدي ، فعل المسلمون ما فعله النصارى قبلهم ، فظهر المتكلمون ، وظهرت بظهورهم آراء تحاول التوفيق بين آراء الفلاسفة والدين . وتطرق

(١) موسى بن ميمون (هي ٣) .

(٢) دلالة الحائرين لموسى بن ميمون (٢/٢٠) ، موسى بن ميمون (ص ٢) .

(٣) موسى بن ميمون (ص ٦٦) .

« ابن ميمون » الى اختلاف آراء علماء الكلام فيما بينهم ، وبحث في آرائهم ، وأبدى في كتابه « دلالة الحائرين » الأسباب التي حملته على مخالفته لآرائهم ولجوئه الى الفلسفة الخالصة ، وقد قال في جماعته يهود العراق : « إن الذي نجد من الكلام في معاني التوحيد عند بعض علماء الدين من اليهود في العراق ، من الربانيين والقرائين ، إنما هو أمور أخذوها عن المتكلمين المسلمين ... وأما الأندلسيون من أهل ملّتنا ، فيستمسكون كلهم بأقاويل الفلاسفة ، ويميلون لآرائهم ، ولا يسلكون مسالك المتكلمين »[1] .

وقد نصح « ابن ميمون » « شموئيل بن تبون » ، مترجم كتابه « دلالة الحائرين » من العربية الى العبرية ، بالأيدرس مصنفات أرسطوطاليس إلا اذا كانت من شروح الإسكندر أو ثامسطيوس أو ابن رشد . وأما المنطق ، فيجب أن يدرس في كتب الفارابي ، وبخاصة مؤلفه في مبادئ الموجودات ، لأن الفارابي كان حكيماً فيلسوفاً كبيراً ، ومصنفاته صحيحة ترشد الى الحكمة ، وقد فضلها على مصنفات ابن سينا . وأما الرازي ، فانه في نظره كان طبيباً ، ليس له علم بالفلسفة والحكمة . وقد كان له رأي ووقوف على آراء الغزالي وابن باجه وابن طفيل وثابت بن قرّة والقبيعي وابن أفلح الاشبيلي والرازي والفرغاني وابن سنان البناني الحرّاني والفارابي وابن وحشيّة وغيرهم ، مما يدل على سعة علمه ومداركه بآراء مختلف العلماء والمسلمين وأصحاب المذاهب والنحل في الإسلام [2] .

وقد خرّج « ابن ميمون » نخبة من طلاب العلم ، منهم من اشتهر وبرز في الطب ومنهم من برز في الفلسفة والحكمة . وكان من أبرزهم وأحبهم الى نفس « ابن ميمون » تلميذه « يوسف بن عقنين » المعروف بـ « يوسف بن يحيى بن اسحاق السبتي المغربي أبي الحجاج »

(١) دلالة الحائرين (١/ فصل ٧١) ، موسى بن ميمون (ص ٨٣) .

(٢) راجع طبعة « مونك » لكتاب دلالة الحائرين ، المنشورة مع الترجمة الفرنسية ، وكذلك موسى بن ميمون (ص ٦٢ وما بعدها) .

في بعض المؤلفات العربية . وكان قد هاجر من المغرب ، والتحق بموسى بن ميمون بمصر . وقد تعاون معه في إصلاح كتاب الهيأة لابن أفلح ، وكان قد حصل عليه بسبتة ، ودرس عليه الطب ، حتى صار من الأطباء المشهورين ، وتنقل في الشرق حتى بلغ الهند ، وزار العراق ، واتصل بأطبائه وبالمشتغلين بالعلوم فيـــه ، ووقف على كتاب الهيأة لابن الهيثم ببغداد ، وألف نفسه كتباً بالعربية والعبرية . وله مراسلات مع أستاذه « ابن ميمون » فيها أمور مهمة عن فلسفته وأحواله ، وأحوال اليهود والمسلمين في ذلك العهد [1] .

وهناك رسائل عديدة فيها أسئلة وردت على « موسى بن ميمون » أجاب عنها ، فيها استفسارات عن فلسفته وآرائه وعن مشكلات عويصة وردود عليها . أجاب عن أكثرها بالعربية ، وترجمت الى العبرية ، وقد طبعت ونشـــرت ترجماتها بالانكليزية وفي الفرنسية والألمانية . وفي جملة الرســـائل التي وردت عليه ، رسائل من جاليات يهودية كانت في فرنســة [2] .

وقد كان لموسى بن ميمون ولد اسمه « ابراهيم » اشتهر أيضاً بين اليهود ، واشتغل بالطب ، فصار طبيباً بارعاً ، وتولى رئاسة طائفته وكان عالماً بأحكام الشريعة اليهودية ، ألف كتاباً في الفقه اليهودي بالعربية ، سماه « كفاية العابدين » ، اشتهر بين اليهود ، وعُدّ مرجعاً يرجع اليه . كما ألف في الرد على حسّاد والده والناقين عليـــه ممن رأوا في مقالاته مخالفة للشريعة الموسوية ، فرد على « دانيال » تلميذ « شموئيل بن علي » ، الرئيس الديني ليهود بغداد ، وألف رسالة سماها « الكفاح في سبيل الله » ، ردّ بها على من نادى باحراق كتاب « دلالة الحائرين » من يهود فرنسة وغيرهم . وكان في جملة المعارضين لابن ميمون سليمان بن أدريت ، وقد ألف رسالة في الرد عليه [3] . و « يونة بن ابراهيم الجرندي »

(١) ابن القفطي (٢٢٩) ، ابن أبي أصيبعة (٢/٢١٣) .

(٢) موسى بن ميمون (ص ٢٤) . Steinschneider, Heber. Biblio., Bd., VI, S. 130.

(٣) رحلة بنيامين (ص ٥٠) .

المعروف بالمتقي ، وقد أحرق كتب ابن ميمون [١] . وابراهيم بن داوود ، الذي انتقده انتقاداً عنيفاً في كتاب خاص ، وضعه في الرد على ابن ميمون [٢]. و « ماير » « مئير » أبو العافية » من رؤساء يهود فرنسة [٣] .

وحجة الفاتين بإحراق « دلالة الحائرين » وبالنهي عن مطالعة مؤلفات « موسى بن ميمون » أن موسى قد رجح الفلسفة على الدين ، وخالف الشريعة ، وانتقد أحكامها ، وذلك بسبب بحثه في أمور دينية عويصة أحجم الأحبار قبله عن البحث فيها ، خوفاً من سواد الناس ومن إثارة الفتنة عليهم ، وتهجمه على بعض العادات المخالفة للعقل مثل استعمال التعاويذ ، واقحامه الفلسفة في المدارس اليهودية الدينية لتدريسها مع العلوم الشرعية ، فقرن الغزالي والفارابي وابن رشد وأرسطو وأفلاطون وجالينوس بالأحبار والربانيين علماء التوراة والتلمود والمشنا . وهذا مما لايحتمله رجال الدين [٤] .

وكان في جملة من نقل « دلالة الحائرين » ، يوسف بن كوهن بن علي الاربلي ، نقله بنصه العربي (سنة ٦٧٤ هـ) [٥] .

لقد أوجدت آراء « ابن ميمون » ردّ فعل عنيف في البيآت اليهودية في الشرق والغرب، قسم اليهود الى جماعتين : جماعة مؤيدة للحركة التجددية التي بعثها « موسى » ، وجماعة محافظة شعارها : القديم على قدمه والويل لمن يدعو الى التغيير والتأويل ، لأنه على زعمهم يدعو الى هدم التراث الشرعي ، الذي بفضله وببركته حافظ اليهود على كيانهم بين الأمم الغريبة عنهم . على أن هذه الحركة قد أفادت اليهودية كثيراً ، إذ بعثت فيها نهضة فكرية

(١) المصدر نفسه (ص ٥١) .

(٢) موسى بن ميمون (٥٠) .

(٣) موسى بن ميمون (٥١) .

(٤) موسى بن ميمون ص ١٩ و ١٢٣ وما بعدها) .

(٥) الحواث الجامعة (ص ٢٤٨) ، رحلة بنيامين (ص ١٢٧) .

كبيرة ، وأوجدت بينهم ثورة ، دفعتهم الى دراسة الفلسفة والعلوم ، والى نقلها إلى العبرية ، ثمّ الى اللاتينية ، والى تثقيف يهود أوربة الذين كانوا في جهل ، والى بعث الشعور القومي فيهم بما وقفوا عليه عن طريق الترجمة من أفكار وآراء .

كان « ابن ميمون » آخر كبار الفلاسفة والعلماء اليهود الذين صنفوا باللغة العربية ، إذ أخذ الجيل الذي تلاه يصنف بالعبرية . ولعل للنكسات السياسية التي أصابت العالم العربي وللجمود الذي طرأ على ذهنيته منذ هذا الزمن أثراً في إعراض اليهود عن التأليف بالعربية ، ومهما يكن من أمر ، فقد تمكن مَنْ بحثنا عنهم ، وتمكن غيرهم من الضليعين بالعلوم وبالعبرية [من أمثال : « منجم بن الفوّال » ، وهو من أهل « سرقسطة » ومن الأطباء المشتغلين بالفلسفة والمنطق ، ومروان بن جناح ، الطبيب ، المنطقي العالم بالعربية والعبرية و « اسحاق بن قسطار » « المتوفى سنة ٤٤٨ هـ » ، الطبيب ، المنطقي الفيلسوف والبارع في العبرانية وفي فقه اليهود ، إذ كان حبراً من أحبارهم ، و « أبي الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي » من « سرقسطة » ، « ومن بيت يهودي معروف قديم [1]] من بعث العبرية ، ومن إحيائها بالتأليف فيها وبالحث على تعلمها وبوضع المصطلحات العلمية والفلسفية بها ، حتى صارت عندهم لغة للتأليف ، وصارت واسطة لنقل تراث اليونان والعرب الى الأوربيين .

ظهر في ايطاليا « هلال بن شموئيل » ، « ٢٢٠ — ١٢٩٥ م » ، من رواد الفلسفة الذين أثنوا على فلسفة ابن ميمون وتأثروا بها ، اشتغل في موضوع النفس ، وألف باللاتينية ، ونقل منها وظهر « ليفي بن كرسن » « ١٢٨٨ — ١٣٤٤ م » ، و « هارون بن ايليا » من « نيقوميديا » ، و « حسداي بن ابراهيم كريطاس » (١٣٤٠ — ١٤١٠ م) في البرتغال ، و « يوسف البو » « ١٣٨٠ — ١٤٤٤ م » ، وأمثالهم ممن ظهروا في أوربة ،

(١) ابن أبي أصيبعة (٢/ ٥٠) .

واشتغلوا بالفلسفة ، ولكنهم جميعاً لم يبلغوا شأوَ « سعيد الفيومي » و « ابن ميمون » وغيرهما ممن ذكرنا . وقد أدى خروج العرب من الأندلس الى ابعاد من اشتغل بالفلسفة من اليهود ، عن الفلسفة الاسلامية ، والى تركهم التأليف بالعربية ، وبالاستعاضة عنها باللاتينية والعبرية .

وأستحسن أن أشير هنا الى بعض من عاصر « ابن ميمون » ، وكان له أثر في نقل التراث العربي الى العبرية ، ومنها الى اللاتينية ، من أمثال « جوزيف بن مئير زبارة » من أهل « برشلونة » ، وهو طبيب وأديب ، ومن المشتغلين بالفلسفة على المذهب الأرسطوطاليسي المعروف عند العرب ، والشاعر والكاتب اليهودي « يهوذا بن سليمان الحريزي » (١١٧٠ — ١٢٣٠ م) ، أحد البارعين بالعبرية والعربية والمتأثرين بأسلوب « المقامة » العربية ، وصاحب المقامات العبرية المعروفة باسم « مقامات الحريزي » التي ضاهى بها مقامات الحريري ، ومترجم كتاب « دلالة الحائرين » لابن ميمون الى العبرية . ولـ « زبارة » كتاب وضع أيضاً على نمط المقامات ، وقد طبع ونشر ، وترجم الى الانكليزية [1] .

والحريزي من الرحالين أيضاً ، رحل من بلاده الى مصر وبلاد الشأم والعراق . ولرحلته هذه ولرحلات الرحالين الآخرين مثل رحلة « بنيامين بن يونة التطيلي Benjamin of Tudela » شأن في الحصول على صورة للعالم العربي وبعض العالم الغربي في ذلك العهد . أما الذين قاموا بالنقل في أيام « ابن ميمون » وبعده من العربية الى العبرية ، أو من العربية الى اللاتينية ، أو من العبرية عن العربية الى اللاتينية ، فهم عديدون يحتاج البحث فيهم الى إفراده بدراسة مستقلة .

جواد علي

(١) Joseph ben Meir Zabara, P. 9.